ردُّ الافتِراء
في تقييد سن الافتاء

للشيخ

أبي همام بكر بن عبد العزيز الأثري

حفظه الله

وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا

منبر التوحيد والجهاد

WWW.TAWHED.WS

رد الإفتـــــــراء

في تقييد سنّ الإفتـــاء

للشيخ

أبي همام بكر بن عبد العزيز الأثري

حفظه الله

1433هـ | 2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله منجي المؤمنين، والصلاة والسلام على الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فأذكر جيداً أنني لما كنت في سجن طواغيت بلدي قبل بضع سنين، قام أجناد الطاغوت بإحضار شيخ ممن له قدم صدق عندهم! حتى يحاورني ويأخذ بيدي إلى منهجه الضال..

فبينا أنا في زنزانتي الانفرادية، إذ أقبل عليّ ضابط في جهاز الأمن ومعه بعض الأجناد، فنظر إليّ من خلف قضبان الباب، وقال ليّ وهو يدخن الزجائر مفاجئاً لي: "الشيـــــــخ عدنان عرعر".. فقلت له: "عرعور وليس عرعر!"، فالتفت إلى من معه وقال لهم: "عرعور؟"، فأجابوه بالإيجاب.. فقال لي: "هل تكفره؟"، فأجبته: "أنا لا أكفر إلا من كفره الله ورسوله!". —أو بنحو هذه العبارة-.. فقال لي: "أتينا به لكي يحاورك ويصلح فكرك"..

فلما أرادوا أن يأخذوني إليه، ظننت أن غرفة الزيارة في السجن كما هي، بلاط قديم مندر، وكراسي بلاستيكية! فلما دخلت تعجبت وظننت أن الغرفة ليست الغرفة! سجاد أحمر، وكراسي من جلد أسود فاخر! فقلت في نفسي: هذا داعية أم وزير؟!

فلما بدأ الحوار، قام العرعور مبادراً إياي وقبل كل شيء، بقوله متهكماً: "أبو فلان — هكذا ناداني برفع (أبو) لا نصبه!- كم عمرك؟!"..[1] فقلت له: "ثلاث وعشرين سنة"، فقال: "لا، ستيـن!".. فأعاد السؤال، فأعدت الجواب، ثلاثاً، فقال في الثالثة: "ثلاث وعشرين وبتفتي الناس؟!".. قال الله تعالى: (**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ**)؟! [الزخرف: 32].

هذه هي حجة هؤلاء القوم وبضاعتهم المزجاة، وهذا هو مبلغ علمهم في الذب عن المفسدين والطغاة، يُقومون الناس بأعمارهم، ويزنون حلوم الرجال بعدد سني حياتهم!

ولقد نسوا أو تناسوا أن الإفتاء والتدريس لا يحصر في عدد من السنين، ولم يشترط العلماء للاجتهاد بلوغ الخمسين أو الستين! بل من توفرت فيه شروط الاجتهاد، وشهد له

[1] روي عن الإمام الشافعي رحمه الله أن السؤال عن العمر من قلة الأدب!

عدد من أهل العلم والرشاد، فهو هو المفتي وإن صغرت سنه، فليس السن بمقياس على سعة علمه..[1]

جاء وفد المهنئين لعمر بن عبد العزيز من أهل الحجاز ، **فقدموا أصغرهم**، فلما بدأ بالكلام، قال له عمر: "**مهلاً يا غلام ليتكلم من هو أسن منك**". فقال الغلام: "مهلاً يا أمير المؤمنين، **المرؤ بأصغريه؛ قلبه ولسانه، فإذا منح الله العبد لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً، فقد استجاد له الحلية،**[2] **يا أمير المؤمنين لو كان التقدم بالسن لكان في الأمة من هو أسن منك!**" –أي أحق بمجلسك هذا ممن هو أكبر منك سناً–.. فقال له عمر: تحدث أيها الغلام..فتحدث بكلام فصل جزل، فلما انتهى من حديثه، نظر عمر في سن الغلام فإذا هو قد **أتت عليه بضع عشرة سنة،** فأنشأ يقول:

تعلم فليس المرء يولد عالماً ... وليس أخو علم كمن هو جاهلُ
وإن كبير القوم لا علم عنده ... صغيرٌ إذا التفت عليه المحافلُ[3]

قال الله تعالى: (قَالُوا سَمِعْنَا **فَتًى** يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60)) [الأنبياء].

قال العلامة ابن عاشور رحمه الله: "الفتى: الذكر الذي **قوي شبابه**".اهـ [التحرير والتنوير 72/17].

(يذكرهم) "قال الفراء: أي: يَعيبهم؛ تقول للرجل: لئن ذكرتني لتندمنَّ، تريد: بسوء".اهـ [انظر: زاد المسير في علم التفسير 265/5].

فلم تكن فتوة إبراهيم عليه السلام مانعاً يمنعه من الصدع بالحق المبين، ولا حاجزاً دون الصدح بالتوحيد والدين.

---

[1] أما ما ورد عن بعض السلف من نهيهم عن أخذ العلم عن الأصاغر, فإنما يعنون بالأصاغر: أهل البدع, كما ذكر ذلك الإمام ابن المبارك رحمه الله وغيره.

[2] استجاد له الحلية: استحق أن يتكلم.

[3] انظر: مروج الذهب 197/3, والنموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر بن عبد العزيز ص98.

وقال الله تعالى: (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ **وَآَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا** (12)) [مريم]. قال الإمام الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: **وأعطيناه الفهم لكتاب الله في حال صباه قبل بلوغه أسنان الرجال**".اهـ

وهذا طرفة بن العبد من أصحاب المعلقات، قُتِلَ وعمرُه **ستٌّ وعشرون**. [انظر: شرح المعلقات السبع للزوزني ص67]. ولا يزال طلاب العلم يتدارسون معلقته إلى يومنا هذا!

ولقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "كان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولاً كانوا **أو شباناً**".اهـ [أخرجه البخاري].

فكان الملهم عمر بن الخطاب، يقدم من توفرت فيه الأهلية من الكهول والشباب، ولم يحجر واسعاً، أو يضيق شاسعاً! كما يفعل بعض من نُكس في الخلق، وتعامى عن الحق! ورُد إلى أرذل العمر، وفرط في ترك المنهي عنه والامتثال للأمر، قال الله تعالى: (**وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ** (68)) [يس]، وقد روى البخاري في صحيحه أن من تعوذ النبي صلى الله عليه وسلم دبر كل صلاة: (**اللهم إني أعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر**).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "كنت أُقرئ رجالاً من المهاجرين **منهم عبد الرحمن بن عوف**".اهـ [متفق عليه].

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "**فيه تنبيه على أخذ العلم من أهله وإن صغرت أسنانهم وقلت أقدارهم**".اهـ [انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح 111/2].

وروي عن حكيم بن حزام رضي الله عنه أنه كان يقرأ على معاذ بن جبل رضي الله عنه، فقيل له: **تقرأ على هذا الغلام الخزرجي؟!** فقال: "**إنما أهلكنا التكبر!**".اهـ

وعن يحيى بن أيوب العابد قال: "حدثنا أبو المثنى قال: سمعتُهم بمرو يقولون: قد جاء الثوري، قد جاء الثوري. فخرجتُ أنظر إليه، **فإذا هو غلام قد بَقَل وجهه**".اهـ[1] [سير أعلام النبلاء 236/7].

[1] بقل شعره, وأبقل: خرج شعره, أي: لحيته.

فهذا سفيان بن سعيد الثوري وهو غلام، منّ الله عليه بأن شاع صيته في العلم وذاع بين الأنام!

وقال الإمام الذهبي رحمه الله عن الإمام مالك بن أنس رحمه الله: "وطلب مالكٌ العلم، وهو ابن بضع عشرة سنة، **وتأهل للفُتيا**، **وجلس للإفادة**، **وله إحدى وعشرون سنة**، وحدث عنه جماعة **وهو حيٌّ شابٌّ طريٌّ**".اهـ [سير أعلام النبلاء 8/55].

وقيل: أنه تأهل للفتيا، وجلس للإفادة وهو **ابن سبع عشرة سنة**. [انظر: الديباج المذهب ص21].

وقال الفربري: "سمعت محمد بن أبي حاتم –وراق البخاري- يقول: سمعت البخاري يقول: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتّاب. قلت: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال: **عشر سنين أو أقل**. ثم خرجت من الكتاب، فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فقال لي يوماً –فيما كان يقرأ للناس-: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك، فدخل فنظر فيه، ثم رجع، فقال: كيف هو يا **غلام**؟ فقلت: هو الزبير –أي ابن عدي- عن إبراهيم. فأخذ القلم، وأصلح كتابه، وقال لي: صدقت. قال: فقال له إنسان: **ابن كم حين رددت عليه؟ فقال: ابن إحدى عشرة سنة**".اهـ

وقال البخاري رحمه الله: "فلما طعنت في **ست عشرة سنة**، حفظت كتب ابن المبارك، ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء –يعني: أهل الرأي-".اهـ [انظر: سير أعلام المحدثين ص139].

وقال البخاري أيضاً: "دخلت على الحميدي **وأنا ابن ثمان عشرة سنة**، فإذا بينه وبين آخر اختلاف في حديث، فلما بصر بي قال: **جاء من يفصل بيننا**، فعرضا عليّ الخصومة، فقضيت للحميدي وكان الحق معه".اهـ [انظر: سير أعلام المحدثين ص157].

وقال البخاري أيضاً: "قال لي محمد بن سلام البيكندي: انظر في كتبي، فما وجدت فيها من خطأ فاضرب عليه، فقال له بعض أصحابه: من هذا **الفتى**؟ فقال له: هذا الذي ليس مثله".اهـ [انظر: سير أعلام المحدثين ص158].

وقال سليم بن مجاهد: "كنت عند محمد بن سلام، فقال لي: لو جئت قبل، لرأيت **صبياً** –أي: البخاري- يحفظ سبعين ألف حديث".اهـ [انظر: سير أعلام المحدثين ص158].

وقال حاشد بن إسماعيل: "رأيت إسحاق بن راهويه جالساً على المنبر، والبخاري جالس معه، وإسحاق يحدث، فمر بحديث، فأنكره محمد، فرجع إسحاق إلى قوله، وقال: **يا معشر أصحاب الحديث انظروا إلى هذا الشاب، واكتبوا عنه، فإنه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسن البصري لاحتاج إليه؛ لمعرفته بالحديث وفقهه**".اهـ [انظر: سير أعلام المحدثين ص158].

وقال أحمد مصطفى في مقدمته لكتاب الرسالة لابن أبي زيد القيرواني "مالك الصغير": "وقد تفقه رحمه الله على أكابر شيوخ القيروان وعلمائها الكبار وأكثر من الأخذ والسماع عنهم حتى ظهر نبوغه، ونجابته العلمية **في سن مبكرة**، حتى أن المترجمين له قد ذكروا **أنه قد ألفَّ "الرسالة"**[1] **سنة 327هـ، وكان له آنذاك سبعة عشر عاماً**، وذلك مما يشهد له بالإمامة والرسوخ في مذهب مالك".اهـ [الرسالة ص7-8].

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أفاد في فتاواه أنه كانت له ردود على بعض العلماء في العقيدة **وهو ابن الحادية عشرة**..

وقال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "**ناظرَ واستدل وهو دون البلوغ**.

أفتى في سن السابعة عشرة من عمره أي سنة 677.

دَرَّس في الحادية والعشرين من عمره أي سنة 681 بعد موت أبيه في المدرسة السكرية، وتولى مشيختها يوم الاثنين 2/محرم/683.

بدأ درس التفسير بالجامع الأموي في 10/صفر/691 أي **وهو ابن ثلاثين سنة**.

حج مرة واحدة سنة 692 أي وعمره 31 سنة، وبعد عودته من الحج آلت إليه الإمامة في العلم والدين..

[1] قال العلامة أبو العباس القَلشاني المالكي (ت: 863هـ) قاضي قضاة تونس, الحافظ لمذهب مالك, شارح الرسالة في الرسالة: "اشتهرت اشتهار النهار, وشاعت في جميع الأقطار, وتلقها الناس بالقبول في سائر الأعصار, وظهرت بركتها ويُمْنُها على من اشتغل بها من الكبار والصغار, ولهذا يقال: إن من حفظها واعتنى بها وهبه الله تعالى ثلاثاً أو واحدة من ثلاث: العلم, والصلاح, والمال الطيب, لم تسمح القرائح بمثلها, ولم ينسج ناسج على منوالها".اهـ

بدأ في التأليف وهو ابن سبع عشرة سنة. وهذا من البدايات المبكرة، الدالة على نبوغه وتأهُّله للاجتهاد والتجديد والإمامة في العلم والدين".اهـ [المداخل إلى آثار شيخ الإسلام ابن تيمية ص19-20].

وقال الشيخ أحمد بن الشيخ حافظ الحكمي عن والده: "وعندما **بلغ التاسعة عشرة من عمره** –ومع صغر سنه– طلب منه شيخه أن يؤلف كتاباً في توحيد الله، يشتمل على عقيدة السلف الصالح، ويكون نظماً ليسهل حفظه على الطلاب، يُعدّ بمثابة اختيار له يدل على القدر الذي استفاد من قراءاته وتحصيله العلمي؛ فصنف منظومته "**سلم الوصول إلى علم الأصول** –في التوحيد–" التي انتهى من تسويدها في سنة 1362هـ وقد أجاد فيها، **ولاقت استحسان شيخه والعلماء المعاصرين له**".اهـ [مقدمة معارج القبول بشرح سلم الوصول 14/1-15]. وقد توفي الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله وعمره خمس وثلاثين سنة، ونحو ثلاثة أشهر..

وقال الشيخ الدكتور سليمان بن عبد الله بن حمود أبا الخيل عن الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله: "فاجتهدَ وجَدَّ حتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم، **ولما بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة جلس للتدريس، فكان يتعلم ويعلم، ويقضي جميع أوقاته في ذلك**، حتى إنه في عام ألف وثلاثمائة وخمسين صار التدريس ببلده راجعاً إليه؛ ومعوَّل جميع الطلبة في التعليم عليه".اهـ [مقدمة القواعد الفقهية ص15، وانظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون 218/3، وفقه ابن سعدي 11/1].

وبعد؛ فهذه نماذج قليلة من بحر متلاطم، أتيت بها لالجم المبتدع المخاصم، ولأقر أعين القراء، لكي لا يتضرروا بشبهات أهل الإرجاء، لاسيما في تقيدهم سن الإفتاء!

ومن نافلة القول أن أقول: إن حداثة سن كثير من مشايخ المنهج السديد، وكهولة كثير من مشايخ المبتدعة، ليست سبة لأهل التوحيد، ولله در السموأل حين قال:

يُعجل حب الموت آجالنا لنا ... وتكرهه أجيالهم فتطولُ!

إذا سيدٌ منا خلا قام سيدٌ ... قؤول لما قال الكرام فعولُ [1]

[1] تاريخ الآداب العربية ص92-93.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين..

وكتب: أبو همام بكر بن عبد العزيز الأثري

1433/4/4هـ - 2012/2/26م